من ذلك كله وفرغت من صلاح نفسك اي ذاتك الشاملة لقلبك وجوارحك
واصلاحه بتطهيره واصلاح الجوارح باعمالها فيما خلقت له وكفها عما نهيت
عنه والى هذا الاصلاح القلبي والجوارحي اشار بقوله ظاهرا وباطنا ويجوز
ان يراد بالظاهر ما بينك وبين الناس وبالباطن ما بينك وبين الله تعالى ولم تفضل
بشيء من اوقاتك المحسوبة من عمرك فلا باس وهذه الكلمة معناها هنا ينبغي بل هي
بمعنى يجب وجوب كفاية ان تشتغل بعلم المذهب مذهبك من الفقه الوارد فيه
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين الحديث لتعرف به الفروع الفقهية النادرة
وغير النادرة والاول لانه على قسمين ضروري فوجوبه عيني وغير ضروري وهو
الواجب كفاية فطريق تحصيله الفقه كثرا ولذا وقوعه في العبادات وكذا في غيرها
واليه اشار بقوله وطريق التوسط بين الخلق في الخصومات عند اكبابهم
وتهافتهم على الشهوات شهوات البطن والفرج فذلك المذكور مما هو سوى
فروع العبادات وهو فروع المعاملات والانكحة والجنايات ايضا بعد
الفراغ من هذه المهمات وفروع العبادات من جملة فروض الكفايات
ومن وصفها [illegible] بقصد حصوله من غير نظر بالذات الى فاعله واوضح منه هو الذي
اذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين وبهذا يعلم ان الكلام في الفروع من
الارباع الثلاثة الباقية لم يجب علينا بان لم يحصل مقتضاه من مباشرة بيع وعقد
ونكاح ونحو ذلك **فان قلت** استفيد من كلام المصنف ان الاشتغال
بعلم المذهب متاخر عن علم الاحياء والبداية فيقدم الاشتغال بهما على علم
الرسوم لان العلم النافع متقدم وهما قد جمعاه وهذا خلاف ما دلك
عليه فحوى كلام الشروح فيما سبق فما التوفيق بينهما **قلت** على
رسلك فانت على مدرجة الاشتباه فلا يبعد ان يزل بك القدم في مهواه
ولا تظن اني خالفت المصنف رحمه الله تعالى فيما اسسه وبناه فضلا عما
حرره واحكم شرحه وعزاه عياذا بالله من المخالفة وانما الغرض ان تعلم ان
الاشتغال بما لا بد منه من علم الرسوم ليس بمانع من الاشتغال بالاحياء
والبداية كما يظنه العوام وارباب الجهالة والغواية بل في الكتابين
ما يحصل هذا الذي لا بد منه او بعضه فيتعين الاشتغال به ولو
من غيرهما قبل ارسال الطرف في مسارح رياضهما هذا غاية ما جنحت
اليه وليس في كلام المصنف هنا ما يخالفه وكلامه هنا مفروض على
علم المذهب الواجب تعلمه كفاية لا عينا ولا ريب انه متاخر رتبة
عما هو لا بد منه وهو العين فافهمه ولا تغفل علي اني لو اخطات
انا قبلي من اخطا واستغفر الله العظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل فان دعتك نفسك الامارة
او اللوامة لانها هي الداعية الى ترك ما ذكرنا من الاوراد والاذكار
الواردات

الواردات استثقالا من النفس بذلك وفي نسخة لذلك باللام اي بالمذكور
فلذلك منشا ومسبب يشار اليه وينبه عليه فاعلم ان الشيطان اللعين
مع النفس المذكورة والمستولي لها قد دس الى قلبك اللطيفة الذي هو
مرادف نفسك او مسكنها على انها اللطيفة وهو القلب الصنوبري الداء
الدفين المستور في القلب وهو اعني الداء حب المال والجاه الذي قل
ان يسلم منهما الكثير وعز ان يسلم من الثاني الاكثر والمراد بهما ما لم يكن
وسيلة الى الاخرة كما هو واضح فاياك ان تغتر به اي بالشيطان وبما دسه
فتكون ضحكة له ولاتباعه فيهلك بكسر اللام على الاوضح بما دسه الى قلبك
ثم ليسخر بك بعد ان صيرك مضحكة له وفي نسخة ثم يسخر بلا لام اما بالبنا
للفاعل وهو واضح واما بالبنا للمفعول وعليه اما ان يكون هو الساخر
او غيره او اعم وهذا اتم وان وفي نسخة فان جربت نفسك
مدة يسيرة او مديدة في الاوراد القولية والفعلية وفي العبادات
ولما لم يكن اورادا قولية والعبادات اعم من الاوراد فكانت نفسك
لا يستثقلها اي تستثقل المذكورات الشاملة للاوراد والعبادات
الشاملة لما قبلها او المقابلة له تقابل الضدين او الخاص للعام كسلا
اي لاجل الكسل عنها ولكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع
الصادق بالعلم الذي هو فرض كفاية والمراد هو فقط لان العيني لا كلام
فيه ولانه سبق ولان علم القلب والاخلاق سبق ايضا ويشهد لهذا
المراد ما ياتي في كلام المصنف قريبا ولم ترد به الا وجه الله تعالى
اي لا الرياء ولا السمعة بل تخلصه لله تعالى وحده فذلك الظهور والرغبة
افضل ثوابا من نوافل العبادات باعتبار انه فرض الكفايات افضل
ثوابا لكن انما يكون هذه النوافل افضل بشرط خلوص النية واليه اشار
بقوله مهما صحت النية وفي نسخة ممن صحت منه النية ولما
كانت صحتها في غاية العزة لعزة الاخلاص اشار الى ذلك بقوله
ولكن الشان في صحة النية واعلم ان المصنف في الاحيا ذكرها تفصيلا
حسنا للعالم حيث قال والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته فان استغراقه
في مرتبة العلم لا يحمله الطبع فيخص ما بعد الصبح الى الطلوع بالاذكار والاوراد
وما بعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والاستفادة كالفكر فيما يشكل فان صفاء
القلب بعد الذكر يعين على التفطن للمشكلات ومن الضحوة الى العصر للتصنيف
والمطالعة ومنه الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرا بين يديه من تفسير
او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب بالتسبيح والاستغفار
فاذا لم تصح النية فهي عند فقد شرط صحتها اي النية معدن
غرور الجهال وفي نسخة فانه معدن لانهم يعتمدون على نيتهم المنية

Copyright © King Saud University